مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ- ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الرابع والعشرون يوم الاثنين 24 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنعم على عباده الصالحين بمننه العظيمة: كتابه ورسله وملائكته، فكانوا خير معينين على الحق. أبان لهم الطريق، ويسر لهم الوصول، فما كان عليهم إلا أن يلتزموا هذا الطريق حتى يكونوا من أهل النجاة. لما ابتلاهم بأهل الكفر وابتلاهم بالشياطين، أيّدهم -سبحانه وتعالى- بملائكته وبكلامه حتى يصلوا إلى اليقين.

وقد أخبرنا -سبحانه وتعالى- عن ذلك في كتابه. فكان من المهم أن يعرف الإنسان المسلم أولياءه من أعدائه وأن يختارهم. وفي هذا كنا وقفنا في اللقاء الماضي في المهمات التربوية على خطر الأصحاب والأقران، من تلازم وتصاحب، وكانت مهمة تربوية عظيمة يجب التنبه لها؛ لكون أن الإنسان وهو سائر في حياته لا بد له من مصاحب، لا بد له من قرين، فإن قارن أهل الإيمان صادقًا في مقارنته، كان منهم، وإن قارن أهل الباطل، كان منهم.

وتتميمًا لهذا المعنى سنرى في **سورة غافر** كيف أخبرنا رب العالمين عن هذه الطبيعة الإنسانية: انحياز كل فريق لفريقه، وكيف يمنّ الله على أهل الإيمان فيجعل الملائكة الكرام هم حزبهم وهم ناصريهم. وهذا ظاهر في مطلع سورة غافر، وهذا بالنسبة لنا من المهام التربوية العظيمة التي تسبب العافية، فإن

- من أعظم العافية أن تعافى من أصدقاء السوء، من قرناء الشر.
- من أعظم العافية أن يقارنك ويكون معك أهل الخير، كما ستكون سورة غافر نموذجًا على ذلك.

وسنعرج على دلالة هذا المعنى في **سورة فصلت**.

نبدأ أولًا بمطلع سورة غافر وما فيها من دلالة على هذا المعنى:

(حم (1) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ

مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

ما أعظمها من آيات تخبر أهل الإيمان أن أهل الباطل يتحزبون ويجتمعون، وبهذا يظنون أنهم يغلبون الحق، يجتمعون ويتحزبون ليجادلوا أهل الحق في الحق. وكما أخبرنا -سبحانه وتعالى- (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فهؤلاء الذين كفروا يتجمعون ويتحزبون، كما أخبر -سبحانه وتعالى- (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ)، فهؤلاء الأحزاب تحزبوا واجتمعوا على الباطل،

واجتمعوا ليجادلوا الحق؛ لذلك قال رب العالمين: (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)، حين تجمّع أهل الباطل لنصرة باطلهم، وأصبحوا أحزابًا والى بعضهم بعضًا، أخبرنا -سبحانه وتعالى- من هم أوليائنا، الذين يوالوننا ويحبوننا ويعينوننا على القيام بما يجب علينا وعلى التقرب لرب العالمين وعلى الوصول إلى رضاه سبحانه وتعالى. أخبرنا -سبحانه وتعالى- أن أهل الأرض إذا اجتمعوا ووالى بعضهم بعضًا، فإن أهل السماء، بل أعظم أهل السماء، (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ) هؤلاء أولياؤهم، (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) هذا فيه إشارة إلى حال هؤلاء الملائكة، لكن الآن سيخصنا جدًا حالهم مع المؤمنين الذين سيصبحون أولياءهم:

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)، هذه صفة.

(وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) هذه صفة.

وهذه الصفات سيأتي التعليق عليها وهي واضحة في حق الملائكة، وتأتي الصفة الثالثة: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) هذه

الصفة هي التي تثير الدهشة، لأن الملائكة يستغفرون وهم لا ذنوب لهم، فاتضح لنا أنهم يستغفرون للذين آمنوا.

ومن هنا نفهم أن للملائكة وظيفة من أعجب الوظائف تظهر فيها موالاة الملائكة للمؤمنين، وتظهر فيها كم لهؤلاء الملائكة من علاقة بأهل الإيمان، لهم علاقة وثيقة بأهل الإيمان، هؤلاء الملائكة، وكلهم كرام لكنهم من أعظم الملائكة وأكرمهم، فهم حملة العرش، فالله -عزَّ وجلَّ- يجعل من وظائف الملائكة: الاستغفار للذين آمنوا.

تضمّنت هذه الآية الخبر عن الملائكة، ومدحهم بالإيمان، ومدحهم بالعمل الصالح، ومدحهم بالإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم، وعِلْمهم برب العالمين، فقد قدموا بين يدي استغفارهم توسلهم إلى الله بسعة علمه وسعة رحمته. فسعة علمه -سبحانه وتعالى- تتضمن علمه بذنوب هؤلاء المؤمنين.

يقول -عزَّ وجلَّ- : (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) فيقولون: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) الملائكة الكرام تعرف رب العالمين وتعرف علمه وسعة رحمته، كأنهم يقولون: طيا

رب أنت تعلم ذنوبهم، وتعلم أسباب ذنوبهم، وتعلم ضعفهم فهم ليسوا معصومين، وتعلم استيلاء عدوهم وأنفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم في الدنيا، وتعلم لما أنشأتهم من الأرض، وهم أجنة في بطون أمهاتهم، كيف سيكون حالهم وكيف أنهم لا بد أن يقعوا في المعصية"، وغير ذلك من سعة علمه -سبحانه وتعالى- الذي لا يحيط به أحد سواه سبحانه وتعالى.

وسعة رحمته أيضًا التي فيها أنه لا يهلك عليه أحد من المؤمنين، أي أحد مؤمن بالله من أهل التوحيد والمحبة لا يهلك؛ لأن رب العالمين واسع الرحمة؛ لا يخرج من دائرة رحمته إلا الأشقياء، ولا أشقى ممن لم تسعه رحمته -سبحانه وتعالى- التي وسعت كل شيء. هذا العلم من الملائكة كان بين يدي الطلب. (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) فيقولون: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) ماذا يترتب على ذلك؟ (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يطلبون من رب العالمين ويسألونه أن يغفر للتائبين الذين اتبعوا السبيل، وهو صراطه الموصل إليه. هذا الصراط الذي نسأل الله -عزَّ وجلَّ- في

الفاتحة أن يجعلنا عليه ويهدينا إليه، فالملائكة تسأل الله -عزَّ وجلَّ- وتطلب منه أن يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله، والسبيل هو الصراط المستقيم، وهذا الصراط المستقيم، وهذا السبيل القويم، إنما يكون بمعرفة الله ومحبته وطاعته، وهذا يجعل الإنسان كثير التوبة والعودة والأوبة؛ لأنه كلما عرف الله وعظّمه، علم أنه لن يقوم بواجبه في شكر ربه وعبادته.

ويسألونه أيضًا -سبحانه تعالى- : (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) وهذه الوقاية شأنها عظيم. تصور إذا كان أهل الباطل يتحزبون ويدل بعضهم بعضًا على الباطل وعلى السوء، فإن الملائكة الكرام تطلب من رب العالمين أن يقيهم عذاب الجحيم.

وفي الآية التي هي ختام السياق، الآية التاسعة (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) يطلبون لهم الوقاية، يطلبون لهم المغفرة، فهؤلاء أولياؤهم، أهل الكفر يوالي بعضهم بعضًا ويكونون حريصين على بقاء بعضهم بعض على الضلال وعلى إضلال أكبر عدد ممكن، وهذا كما اطلع (فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) ، وقال له: (تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ)[1].

---

[1]() الصافات: 55-56.

في مقابل هؤلاء الذين يشككون وينشرون الباطل ويتحزبون ليجادلوا بالباطل، وهنا الملائكة الكرام، بل حملة العرش الكرام يوالون أهل الإيمان ويطلبون من رب العالمين أن يغفر للذين آمنوا، ويطلبون من رب العالمين -وهم يعرفون رب العالمين- أن يقي الذين آمنوا عذاب الجحيم، وهذا يتضمن أن يطلبوا من رب العالمين أن يحفظهم من السيئات، فوقايتهم من عذاب الجحيم، هذا لا بد أن يقيهم أسباب الوصول إلى عذاب الجحيم.

فهم طلبوا أن يغفر الله للذين تابوا واتبعوا السبيل: الصراط المستقيم، وقاموا بالأعمال التي تجب عليهم: فتابعوا النبي الكريم في أقواله وأعماله وأحواله، وكان هذا سببًا لأن يقيَهم الله عذاب الجحيم.

لما سألوا هذا لنفس أوليائهم المؤمنين، سألوا أيضًا أن يُدخل الله مع هؤلاء الأولياء، المؤمنين من أصولهم وفروعهم وأزواجهم. المنتفع الآن المؤمن، وكل مؤمن له صلة به. (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ) هؤلاء الذين تابوا واتبع سبيلك (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ)

فيدعون لهم ويدعون للمؤمنين من أصولهم وفروعهم وأزواجهم أن يدخلهم الله جنات عدن التي وعدهم بها، وهو -سبحانه وتعالى- لا يخلف الميعاد، فإنه وعدهم بها بأسباب لو أتى بها الخلق سيدخلهم رب العالمين جناته.

ومن جملة هذه الأسباب دعاء ملائكته -سبحانه وتعالى- الذين هم أوليائهم، أن يُدخل هؤلاء برحمته إلى الجنة، وأن يوفقهم إلى الأعمال التي تدخلهم الجنة. الملائكة تقول: "يا رب أدخلهم الجنة، وما يدخلون الجنة إلا برحمتك ومن رحمتك أن ترشدهم إلى أعمال صالحة يقومون بها."

فتصور نعمة الله على أهل الإيمان، ينامون على فرشهم ويتقلبون والملائكة حملة العرش في السماء يدعون ويطلبون لهم، فكم لهذه الولاية من خير!

وهنا تتعجب أنهم يقولون: (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أدخلهم يا رب الجنات وأنت يا رب العزيز الحكيم، ما علاقة (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) بهذا الأمر؟

يتبين هذا من الدعاء التالي لما قالوا: (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) هذا لا

زال من دعائهم، وهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الأعمال ومن عقوبة هذه السيئات التي تسوء صاحبها، بمعنى: يا رب قِهم أعمال السوء وقِهم جزاء هذه الأعمال.

هؤلاء الملائكة الكرام سألوا الله -سبحانه وتعالى- أن يقيَهم عذاب الجحيم، هذا في الآية الأولى من السياق، والوقاية من عذاب الجحيم هي وقاية العقوبات السيئة، إذًا الملائكة تسأل الله سؤالين: في البداية تسأله أن يقيهم جزاء السيئات وهو عذاب الجحيم.

وفي الآية التاسعة (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أن يقيَهم الأعمال السيئة.

(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) المقصود في ذاك اليوم سيرون آثار الأعمال السيئة.

إذًا نخرج بهذه النتيجة: كيف يقيَهم ربنا السيئات؟ وقاية السيئات نوعان:

النوع الأول: وقاية فِعْلها، ربنا يقي المؤمنين أن يفعلوها، وهذا توفيق من الله فما تصدر منهم السيئات.

والأمر الثاني: وقاية جزائها، يفعلونها، يقعون فيها لكن الله يقيَهم جزاءها بالمغفرة فلا يعاقب عليها.

إذًا هنا تسأل الملائكة رب العالمين: أن يقي المؤمنين السيئات فلا يفعلوها، وإن فعلوها يغفر لهم هذه السيئات.

هذا يجعلنا نفكر في هذا الأمر المهم وهو: السيئات والأصحاب الذين يمكن أن يجروا للسيئات.

ونفكر الآن في اسمه (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، هذا الموطن يحتاج إلى تأمل. (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ)، (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) هنا تشير إلى أن مصدر إدخالهم الجنة ووقايتهم السيئات صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك، فإن العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم، وبهاتين الصفتين، يقضي -سبحانه وتعالى- ما شاء، ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب، هذان الصفتان هما مصدر الخلق والأمر، كمال القدرة وكمال العلم، والعزيز الحكيم يتضمن هذين الصفتين؛ العزيز كمال القدرة، والحكيم كمال العلم. أنت يا رب لك كمال القدرة ولك كمال العلم، فتعلم أحوالهم، فَقِهم ما يمنعهم الدخول إلى جنات النعيم، قِهم أن يقعوا في السيئات وقِهم عقوبات السيئات بعزتك وحكمتك.

وهنا يجدر أن نتكلم عن عقوبات السيئات، وننقل **كلام ابن القيم في عقوبات السيئات:**

"المقصود: أن عقوبات السيئات تتنوع إلى عقوبات شرعية، وعقوبات قدرية، وهي إما في القلب، وإما في البدن، وإما فيهما، وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت، وعقوبات يوم عَود الأجساد"

إذًا هناك أنواع من العقوبات في القلب والبدن، ويكون هذا في الدنيا، أو في دار البرزخ، أو حينما تعود الأجساد.

"فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة، ولكن لجهل العبد لا يشعر بما فيه من العقوبة؛ لأنه بمنزلة السكران والمخدر والنائم الذي لا يشعر بالألم، فترتب العقوبات على الذنوب كترتب الإحراق على النار، والكسر على الانكسار، والغرق على الماء، وفساد البدن على السموم، والأمراض على الأسباب الجالبة لها. "

ما دام هناك ذنب؛ إذًا لا بد من عقوبة، لكن لجهل الإنسان لا يشعر مثل المخدر أو السكران.

"وقد تقارن المضرة الذنب وقد تتأخر عنه، إما يسيرًا وإما مدة، كما يتأخر المرض عن سببه أن يقارنه، وكثيرًا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى أثره عقبه، ولا يدري أنه يعمل عمله على التدريج شيئًا فشيئًا، كما تعمل السموم والأشياء الضارة حذو القذة بالقذة!"

الله يعيذنا، هذه السيئات لها أثر، وهو: العقوبات، وقد تسري العقوبات كما يسري السم في البدن ويفسد في الأعضاء بالتدريج، السم قد يسري في البدن بالتدريج حتى يأخذ سنينًا إلى أن يفسد الأعضاء، وهكذا العقوبات تعمل في الإنسان.

"فإن تدارك العبد نفسه بالأدوية والاستفراغ والحمية، وإلا فهو صائر إلى الهلاك، هذا إذا كان ذنبًا واحدًا لم يتداركه بما يزيل أثره، فكيف بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة؟ والله المستعان."

هذا الاستطراد مفيد حتى نتصور حجم الإشكال الذي نعيشه وكيف أن من رحمة رب العالمين: جعل الملائكة تدعو وتستغفر لنا، ونحن المقصرون، وكيف أن الشرط الذي

جعلته الملائكة في هذا الاستغفار في الشخص الذي تستغفر له: أن يكون أصلًا هو تائبًا، باذلًا جهده أن يتبع الصراط المستقيم، حريصًا على الصراط المستقيم. فهي لا تصاحب ولا تقارن إلا هذا الشخص الذي في الدينا مسلكه التوبة واتباع السنة.

لو تصورنا هذا المعنى في غافر -وهذه السورة فيها من الخيرات الكثيرة- تركيزنا سيكون على القرناء، كما تبين في السياق إذا كان أهل الباطل يتحزبون فإن حزبك الذي ينصرك ويطلب لك كل الخيرات في السماء؛ حملة العرش ومن حوله يقومون بهذه الأعمال من تسبيح رب العالمين مقرونًا بحمده ومن إيمانهم بالله. هذا الإيمان العظيم الذي عند الملائكة من أسباب ذكره في السياق: أن تعلم أن الذي يجعلهم يستغفرون ويسألون الله لك هو أنك تشاركهم في الإيمان. هذا شأن المؤمن المعتني بإيمانه، تستغفر له هذه الطائفة الشريفة من الملائكة. حملة العرش ومن حوله، طائفة تحمل العرش وطائفة تحفّ بالعرش كما في آخر الزمر قال

تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

هؤلاء الملائكة يخبر رب العالمين أنهم: (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) لذلك هم يستغفرون لمن هم مثلهم، للذين آمنوا، يحبون الذين آمنوا لإيمانهم، يوالون الذين آمنوا لإيمانهم. فكن حريصًا على إيمانك ليكون قرناؤك هم الملائكة المؤمنين. فالإيمان فضيلة عظيمة والشرف لأهله، وإذا دخلت في سلك المؤمنين واعتنيت بهذا الإيمان دعت لك الملائكة حملة العرش، (يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا). إذا كان أهل الباطل يوالون على الباطل ويتحزبون عليه، فإن الملائكة الكرام تواليك على إيمانك، فكلما زاد إيمانك وقوي، وكلما أثر على سلوكك فتبت واتبعت السبيل كلما كانوا هم أكثر ولاية لك، هذا المعنى واضح جدًا في سورة فصلت.

سنترك غافر وإن كان فيها دلالات عظيمة أخرى تدل على نفس موضوع القرناء، لكن ننتقل إلى آية فصلت لأن الدلالة فيها ظاهرة جدًا، ننظر للآية (30) رب العالمين يقول:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

نلاحظ أن في غافر (وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ) وهنا كأنها لحظة الاحتضار، وهؤلاء قالوا: "ربنا الله" ثم استقاموا، مثلما أشير هناك إلى الذين تابوا واتبعوا السبيل، الملائكة الكرام تطمئنهم (أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)، ثم الملائكة تقول: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)، أولياؤكم، إذًا هؤلاء هم الأصحاب القرناء وإن كنت أنت في الأرض وهم في السماء لكنهم يتنزلون بأمر الله، ولهم أعمال في تأييدك الله أعلم بها.

وهنا أيضًا ننقل كلامًا لابن القيم يشير إلى هذه الصحبة ومسؤولية الإنسان أن يختار أصحابه، وتصور أنك يا ابن آدم يمكن أن يكون أصحابك هم الملائكة أو الشياطين!

في سورة فصلت لما قال الرجل الذي نجّاه الله: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)، قال بعض المفسرين: "قريب من الشياطين." نقرأ كلام ابن القيم في آية سورة فصلت:

"قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إذا أصْبَحَ ابْنُ آدَمَ ابْتَدَرَهُ المَلَكُ والشَّيْطانُ، فَإنْ ذَكَرَ اللَّهَ وكَبَّرَهُ وحَمِدَهُ وهَلَّلَهُ، طُرِدَ الشَّيْطانُ وتَوَلّاهُ المَلَكُ، وإنِ افْتَتَحَ -يومه- بِغَيْرِ ذَلِكَ ذَهَبَ المَلَكُ عَنْهُ وتَوَلّاهُ الشَّيْطانُ. وَلا يَزالُ المَلَكُ يَقْرُبُ مِنَ العَبْدِ حَتّى يَصِيرَ الحُكْمُ والطّاعَةُ والغَلَبَةُ لَهُ -نحن في معركة وجدانية، كما سيتبين الآن- فَتَتَوَلّاهُ المَلائِكَةُ في حَياتِهِ وعِنْدَ مَوْتِهِ وعِنْدَ بَعْثِهِ، كَما قالَ اللَّهُ تَعالى: (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ ألّا تَخافُوا ولا تَحْزَنُوا وأبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ - نَحْنُ أوْلِياؤُكم في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ).

وَإذا تَوَلّاهُ المَلَكُ تَوَلّاهُ أنْصَحُ الخَلْقِ وأنْفَعُهم وأبَرُّهُمْ، فَثَبَّتَهُ وعَلَّمَهُ، وقَوّى جَنانَهُ، وأيَّدَهُ اللَّهُ تَعالى: (إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلى المَلائِكَةِ أنِّي مَعَكم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)[2] فَيَقُولُ المَلَكُ عِنْدَ المَوْتِ: لا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ وأبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، ويُثَبِّتُهُ بِالقَوْلِ الثّابِتِ أحْوَجَ ما يَكُونُ إلَيْهِ في الحَياةِ الدُّنْيا، وعِنْدَ المَوْتِ، وفي القَبْرِ عِنْدَ المَسْألَةِ.

---

[2] () الأنفال: ١٢.

فَلَيْسَ أَحَدٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ مِن صُحْبَةِ المَلَكِ لَهُ، وهو وَلِيُّهُ في يَقَظَتِهِ ومَنامِهِ، وحَياتِهِ وعِنْدَ مَوْتِهِ وفي قَبْرِهِ، ومُؤْنِسُهُ في وحْشَتِهِ، وصاحِبُهُ في خَلْوَتِهِ، ومُحَدِّثُهُ في سِرِّهِ، ويُحارِبُ عَنْهُ عَدُوَّهُ، ويُدافِعُ عَنْهُ ويُعِينُهُ عَلَيْهِ، ويَعِدُهُ بِالخَيْرِ ويُبَشِّرُهُ بِهِ، ويُحِثُّهُ عَلى التَّصْدِيقِ بِالحَقِّ، كَما جاءَ في الأثَرِ الَّذِي يُرْوى مَرْفُوعًا ومَوْقُوفًا: «إنَّ لِلْمَلَكِ بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّةً، ولِلشَّيْطانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ المَلَكِ: إيعادٌ بِالخَيْرِ وتَصْدِيقٌ بِالوَعْدِ، ولَمَّةُ الشَّيْطانِ: إيعادٌ بِالشَّرِّ وتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ».

وهذه هي المعركة، أنك طوال الوقت تسمع صوتين، فإذا قوي صوت الحق تولاك الله -عزَّ وجلَّ- فتولتك الملائكة.

وَإذا اشْتَدَّ قُرْبُ المَلَكِ مِنَ العَبْدِ تَكَلَّمَ عَلى لِسانِهِ، وألْقى عَلى لِسانِهِ القَوْلَ السَّدِيدَ، وإذا بَعُدَ مِنهُ وقَرُبَ الشَّيْطانُ، تَكَلَّمَ عَلى لِسانِهِ، وألْقى عَلَيْهِ قَوْلَ الزُّورِ والفُحْشِ، حَتّى يُرى الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلى لِسانِهِ المَلَكُ والرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلى لِسانِهِ الشَّيْطانُ، وَفِي الحَدِيثِ: «إنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلى لِسانِ عُمَرَ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هذا من تأييد الله له، أن يكون معه ملائكة، فتنطق الملائكة على لسانه، بمعنى أنها تلقي في فؤاده الحق وتقويه.

وكانَ أحَدُهم يَسْمَعُ الكَلِمَةَ الصّالِحَةَ مِنَ الرَّجُلِ الصّالِحِ فَيَقُولُ: ما ألْقاهُ عَلى لِسانِكَ إلّا المَلَكُ، ويَسْمَعُ ضِدَّها فَيَقُولُ: ما ألْقاها عَلى لِسانِكَ إلّا الشَّيْطانُ، فالمَلَكُ يُلْقِي بِالقَلْبِ الحَقَّ ويُلْقِيهِ عَلى اللِّسانِ، والشَّيْطانُ يُلْقِي الباطِلَ في القَلْبِ ويُجْرِيهِ عَلى اللِّسانِ. لذلك أولئك الذين يجادلون في الباطل كما في سورة غافر إنما جادلوا بالباطل بما أجراه الشيطان على ألسنتهم.

فَمِن عُقُوبَةِ المَعاصِي أنَّها تُبْعِدُ مِنَ العَبْدِ ولِيَّهُ سنعود مرة أخرى إلى (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ)، وكيف أن المعاصي تبعد عن العبد الملائكة، فلا يقارنه في ذاك الوقت إلا الشيطان.

الَّذِي سَعادَتُهُ في قُرْبِهِ ومُجاوَرَتِهِ ومُوالاتِهِ، وتُدْنِي مِنهُ عَدُوَّهُ الَّذِي شَقاؤُهُ وهَلاكُهُ وفَسادُهُ في قُرْبِهِ ومُوالاتِهِ، حَتّى إنَّ المَلَكَ لَيُنافِحُ عَنِ العَبْدِ، ويَرُدُّ عَنْهُ إذا سَفِهَ عَلَيْهِ السَّفِيهُ وسَبَّهُ، كَما في الحديث أنه اخْتَصَمَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- رَجُلانِ، فَجَعَلَ أحَدُهُما يَسُبُّ الآخَرَ وهو ساكِتٌ، شخصان أحدهما يسب والثاني ساكت، الساكت تكلم، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَرُدُّ بِها عَلى صاحِبِهِ، فَقامَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-

فَقالَ الرجل الذي كان ساكتًا ثم رد عليه بكلمة: يا رَسُولَ اللَّهِ لَمّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ قُمْتَ، أنا في موقف المظلوم الآن، هو كان يتكلم عليّ وأنا ساكت، فقط رددت بكلمة واحدة، فلما رددت عليه قمت يا رسول الله؟ أليس لي حق أن أرد عليه؟ فَقالَ: «كانَ المَلَكُ يُنافِحُ عَنْكَ، فَلَمّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ جاءَ الشَّيْطانُ فَلَمْ أكُنْ لِأجْلِسَ». تصور الإيمان بالغيب ماذا يفعل في نفس الإنسان! ونحن نتكلم عن هذه **المهمة التربوية** نجد أن علينا مسؤولية كبيرة تجاه أنفسنا وأبنائنا، كون أن الملك ينافح عنك وهذا يخاصمك، كم سيكون الإنسان في عافية من دينه لو ترك السفهاء وشأنهم فلم يخاصمهم ولم يرد عليهم.

وَإذا دَعا العَبْدُ المُسْلِمُ لِأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ أمَّنَ المَلَكُ عَلى دُعائِهِ، وقالَ: «وَلَكَ بِمِثْلٍ». تصور حضور الملك معنا. وَإذا فَرَغَ مِن قِراءَةِ الفاتِحَةِ أمَّنَتِ المَلائِكَةُ عَلى دُعائِهِ. وَإذا أذْنَبَ العَبْدُ المُوَحِّدُ المُتَّبِعُ لِسَبِيلِهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- اسْتَغْفَرَ لَهُ حَمَلَةُ العَرْشِ ومَن حَوْلَهُ. وَإذا نامَ العَبْدُ عَلى وُضُوءٍ باتَ في شِعارِ مَلَكٍ. فَمَلَكُ المُؤْمِنِ يَرُدُّ عَنْهُ

ويُحارِبُ ويُدافِعُ عَنْهُ، ويُعَلِّمُهُ ويُثَبِّتُهُ ويُشَجِّعُهُ، فَلا يَلِيقُ بِهِ أنْ يُسِيءَ جِوارَهُ ويُبالِغَ في أذاهُ وطَرْدِهِ عَنْهُ وإبْعادِهِ، فَإنَّهُ ضَيْفُهُ وجارُهُ. وَإذا كانَ إكْرامُ الضَّيْفِ مِنَ الآدَمِيِّينَ والإحْسانُ إلى الجارِ مِن لَوازِمِ الإيمانِ ومُوجِباتِهِ، فَما الظَّنُّ بِإكْرامِ أكْرَمِ الأضْيافِ، وخَيْرِ الجِيرانِ وأبَرِّهِمْ؟ وإذا آذى العَبْدُ المَلَكَ بِأنْواعِ المَعاصِي والظُّلْمِ والفَواحِشِ دَعا عَلَيْهِ رَبَّهُ، وقالَ: لا جَزاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كَما يَدْعُو لَهُ إذا أكْرَمَهُ بِالطّاعَةِ والإحْسانِ.

والله أعلم.

قالَ بَعْضُ الصَّحابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم -: إنَّ مَعَكم مَن لا يُفارِقُكُمْ، فاسْتَحْيُوا مِنهم وأكْرِمُوهم. وَلا ألْأمَ مِمَّنْ لا يَسْتَحِي مِنَ الكَرِيمِ العَظِيمِ القَدْرِ، ولا يُجِلُّهُ ولا يُوَقِّرُهُ، وقَدْ نَبَّهَ سُبْحانَهُ عَلى هَذا المَعْنى بِقَوْلِهِ: (وَإنَّ عَلَيْكم لَحافِظِينَ (10) كِرامًا كاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ)[3] أي اسْتَحْيُوا مِن هَؤُلاءِ الحافِظِينَ الكِرامِ وأكْرِمُوهُمْ، وأجِلُّوهم أنْ يَرَوْا مِنكم ما تَسْتَحْيُونَ أنْ يَراكم عَلَيْهِ مَن هو مِثْلُكُمْ، والمَلائِكَةُ تَتَأذّى مِمّا يَتَأذّى مِنهُ بَنُو آدَمَ، وإذا كانَ ابْنُ آدَمَ يَتَأذّى مِمَّنْ يَفْجُرُ ويَعْصِي بَيْنَ يَدَيْهِ، لو كان حي القلب سيتأذى من مثل هذا!

---

[3] () الانفطار: ١٠-١٢.

وإنْ كانَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَما الظَّنُّ بِأذى المَلائِكَةِ الكِرامِ الكاتِبِينَ؟ واللَّهُ المُسْتَعانُ.

نحن في **مهمتنا التربوية** هنا نشير ونؤكد على أن **الإنسان يختار قرناءه**، فعلينا أن نشعر بخطورة هذا الموضوع لأن هذا الموضوع مسبب للتردي، إذا أخطأ الإنسان اختيار من يقارنه، في مقابل ذلك يمكن أن يكون سببًا للسمو والعلو إذا أحسن الإنسان في اختيار من يقارنه، فإذا اجتمع الناس وتكالب عليه الأعداء وهو ممن أحسن اختيار القرين، سيكون هذا القرين سببًا لتثبيته وتقويته وتعليمه، كما يقول ابن القيم، ليس هذا فقط في دنياه، فالناس يفارقون الناس عند الموت، وحتى في الدنيا يحصل الفراق، لكن تصور هؤلاء القرناء الذين يكونون معك في حياتك وعند موتك وفي قبرك، فيبشرونك ويجعلونك في طمأنينة بأمر الله، كيف يستبدل الإنسان هؤلاء الملائكة الكرام بالشياطين وأعوانهم؟! نعوذ بالله من الخذلان!

المؤمن يأتي بالشروط التي بها يصبح قرينك ومصاحبك وملازمك هم الملائكة، وهذه الشروط واضحة في الآيات،

أما في غافر فهي: الإيمان والتوبة والحرص على اتباع السبيل، وهذا المعنى بالضبط هو الموجود في آية فصلت (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) يعني آمنوا (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) التزموا الطريق، اتبعوا السبيل، تمسكوا به، وإن أخطأوا تابوا وعادوا. حَقِق الصفات ليتحقق لك الموعود، واهتم باختيار القرناء ولا تسِر على هواك. نعوذ بالله أن يكون قرناؤنا الشياطين، نسأل الله أن يجعلنا من أهل الإيمان والتوبة واتباع السبيل!

اللهم اجعلنا ممن قالوا: "ربنا الله" وصدقوا في قولهم، واستقاموا وأَعَنْتهم على هذه الاستقامة. يا رب نحن وذرياتنا، وأبناؤنا وأحفادنا وأزواجنا وإخواننا وأهلونا والمسلمون، اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين.